معاملة العبد للمعبود وان حظ الرجل الطيب من المرأة هو ان يكون لها سلطان على قلبه نظير سلطانه على قلبها وان يعامل كل منهما الآخر معاملة النظير للنظير في الشئون الزوجية وذلك ما أعوز فرعون حتى التمسه في عشق الفتاة فوجده لولا انه لم يستطع امتلاك قلبها كما ملكها قلبه . ومن الخطأ فيها نسبة الكذب الى موسى عليه السلام وزعم ان فرعون لم يكن يعرفه قبل بعثه وانه بعث وهو شيخ كبير وان العصا كانت لهرون وكان هو الذي يعمل بها العجائب بأمر موسى عليهما السلام وغير ذلك وهو خطأ ضار . اما ترجمة الرواية فحسنة ومترجمها تقولا افندي رزق الله وهي تطلب منه ومن المكاتب الشهيرة بمصر وثمن النسخة ٨ قروش

باب الحوادث والأنباء

﴿ وفاة حسن باشا ناظر البحرية ﴾

ننقل ترجمة هذا الوزير عن جريدة (محمدان) الهندية كما نقلتها عن جريدة الاخبار الاسلامية (مسلم كرونيكل) وهي رسالة لمكاتب هذه في لندن مأخوذة من رسالة من الاستانة كتبت في اليوم الثالث لموت الوزير . وقد نشر في بعض الجرائد المصرية ترجمة الرجل على نحو ما في جريدة الدولة الرسمية خالية من كل عبرة وفائدة وذلك ان جرائد المسلمين في مصر تحو في الاخبار العثمانية منحى جرائد الاستانة وسوريا وهي لا تكاد تنشر الا ما يوافق الاهواء . ومن هنا نستدل على كون جرائد المسلمين في الهند أرقى حرية من أخواتها في مصر ولعل سبب ذلك ان القارئين صاروا هنالك أرقى منهم هنا في الحرية اذ يجوز ان يعرفوا الحقيقة لا ان يتلذذوا بالمدح وان كان كذباً . قال المكاتب ما تعريبه :

الرأي العام مجمع على ان قوة الدولة العثمانية الحربية توازن قوة أية دولة من الدول الكبرى ولكن بحرية الدولة صارت من عدة سنين قرحا في جسمها ومرضا في بنيتها وقد كانت الى عهد حرب القريم بحيث لا تقل عن قوة فرنسا وروسيا ان لم تكن من أعلى القوى البحرية . لذلك كان مما يثير العجب ان لا يكون لتركيا موقف مع الدول البحرية لهذا العهد . وقد علم قراء (الكرونكل) من رسائلي السابقة في هذا الموضوع الاسباب والاحوال

التي هبطت بحرية الدولة الى هذا الحضيض. وكل هذا الهبوط والتأخر ينسب الى رجل واحد استحق لعن الامة التركية — هذا الرجل البغيض هو حسن باشا حسني

مات حسن باشا حسني ناظر البحرية العثمانية أول أمس وكان يرجو الناس موته من زمن بعيد وكان موته في قصره بالبكر وروشمه على ضفة البوسفور وهو في سن الثمانين ولم يعرف في تاريخ البشر من أول الخليقة الى الآن رجل كان أشد بغضا ومقتا الى أمته من هذا الرجل الذي مكث في منصبه هذا نحو ربع قرن. ولي البحرية العثمانية وهي في الدرجة الثانية من قوى البحرية الاوربية وتركها وهي أدنى القوى البحرية في العالم وأضعفها. ولقد تستعوذ الدهشة على الانسان وتملكه الحيرة اذا حاول فهم سبب اهمال البحرية من دولة حربية عارفة بمكانة القوى البحرية في هذا العصر. على ان هذا الناظر لم يكن أقل علما من أعظم أمراء البحر في أوروبا بل المشهور عنه أنه كان من أمثل امراء البحر في الدول البحرية العظمى وأمهرهم وأحذقهم ولكن هذا الرجل الذي كان من أكبر رجال الدولة هو الذي أضعف تلك القوة العظمى عامدا متعمدا وقد وصفته احدى الجرائد التركية اليوم بأنه أعظم عبيد السلطان أمانة وأشدهم استقامة ولكن أفكارنا وشكل الحكومات الراقية في هذا العصر يحولان دون الاعتقاد بأن الخائن لامته ودولته، يكون ناصحا لسلطانه وصادقا في خدمته. ذلك لان النصح للحاكم والاخلاص في خدمته أمران لازمان لحكومته اذ لا معنى لخدمة الحاكم من حيث هو حاكم الا خدمة الحكومة التي هو رئيسها. وكان فساد طوية حسن باشا وتركه محاسبة نفسه واستقباء قلبه حال دون التمييز بين الرجل من حيث هو حاكم ومن حيث هو شخص ربما يرجى نفعه ويخشى ضره. لذلك كان يقضي ليله ونهاره مدة ربع قرن في تجريد السفن الحربية من جميع عدتها التي تكون بها صالحة للحرب. ولا يدري أحد من الناس أين صرفت الاموال العظيمة المخصصة للبحرية في ميزانية الدولة اذ لم يطالبه أحد بحسابها بل كان مطلق التصرف ومتمتعاً بالسلطة التامة في نظارته الى آخر حدودها وكان يولي ويعزل من شاء من غير سؤال ولا مراقبة من أحد نافذ الرأي مطاع الامر في نظارته وفي مجلس الوزراء بل وفي قصر يلدز نفسه.

ولقد مات موتة شنيعة سبقها مرض عاش في جسمه سنة كاملة كان فيها موضع السبعين نوعا

من الاعمال الجراحية وذاق فيه من الآلام مالا يطاق. وكان يجمجم وهو يتقلب في غمرات الموت بهذه الكلمة توبة وندماه ما جنيت اذ جنيت وعدي ولكن كان لي شركاء اوماهو في معناها وسيكون موته عبرة لغيره ممن يدفعون الى الجري على سننه

عين حسن باشا ناظرا للبحرية ولم يكن يملك شيئا حتى ولا بيتا يقيم فيه ومات بالامس وهو يكاد يكون أغنى رجل في تركيا وتقدر ثروته المنقولة والثابتة بثمانية ملايين من الجنيهات وكان دخله السنوي مئتي ألف جنيه وكان يشتري كل ما يباع حيثما وجده وإن لم يكن قادرا على كل الانتفاع به لانه لم يكن يسمح له بالخروج من القسطنطينية. وقد أقبل الناس هنا (الاستانة) على الجرائد التي نعته بالامس واشتروا منها عددا عظيما وقد أخذتهم روعة من السرور استغرقت شعورهم وطفق بعضهم يمضغ بالجهر من القول بكمال الحرية . وكان الفرح عاما في السواحل البحرية فان أتراك الاستانة وسواحل البحر الاسود وبحر مرمره والساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط وخليج العجم مولعون جدا بالبحرية فالسفينة المدرعة أبهى في نظرهم من الخميس العرمرم من الجيش . ولو كانت ترجمة الرجل الرسمية مما يستحق العناية لنقلتها من الجريدة الرسمية بحروفها ذلك أن أعماله قليلة جدا فلا نصيب لها من التطويل

كان حسن ولدا لباشا فريق في البحرية ولا ينبغي ان يعتقد انه ارتقى بنسبه بل كان انجب التلامذة في المدرسة والمقدم في فرقته ومحبوبا لكل اساتذته ولما نال الشهادة من المدرسة البحرية التي كانت وقتئذ حديثة النشأة عين ملازما في السفينة المسماة (خداداد) وقام بخدمة الحكومة في البحر المتوسط على سواحل افريقيه وسواحل الجبل الاسود وجزيرة كريد والبحر الاحمر وشهد حرب القريم وأبلى بلاء حسنا في حرب سيباستبول وكان يومئذ أمير عمارة البحر الاسود في الحرب الروسية العثمانية الاخيرة وقد أعجب الناس بنجاحه ومهارته يومئذ في إنزال الجنود العثمانية في باطوم

ترك حسن باشا اثني عشر ولدا أكثرهم مستخدمون في دار الصناعة (الترسانه) العثمانية . وكان يتكلم بالتركية واليونانية والانكليزية

فتنة بيروت

في بيروت رهط من الاشقياء يسفكون الدماء ويهينون الوجهاء ويسلكون في شرورهم مسلك التحمس الديني فيزعمون انهم ينصرون الدين بفسادهم فاذا سمع

للمسلم منهم ان نصرانيا أهان مسلما أو قتله يفعل كما يفعل النصراني اذا سمع بمثل ذلك ينتقم كل منهما للمنتسب الى دينه وان كان مجهولا من أي مخالف له وان كان بريئا ولم توجد شريعة وضعية فضلا عن شريعة الهية تأمر بأخذ البري بجريرة الاثيم لأنه يشاركه في الانتساب الى الدين . وأشهر هؤلاء الاشقياء جان اسمه الياس الحلبي فقد بلغنا عنه انه اذا عزم على الفتك بمسلم ما يذهب أولا الى الكنيسة فيسجد للسيدة العذراء عليها السلام ويمس صورتها بسلاحه ويطلب منها الاعانة على الفتك باعدائها واعدائها — وما كان المسلمون من اعدائها فانهم يبرئونها من الدنس ويحكمون بكفر قاذفها — ثم ينطلق الى جنايته قرير العين معتقدا أنه مؤيد بتلك الروح الطاهرة التي هي أبعد الارواح عن الرضى بهذا العدوان والشر الكبير . ويجهل هذا الشرير وصايا الانجيل بمحبة الاعداء ولا يجد من يذكره هو وأمثاله بها كما لا يجد أشرار المسلمين من يذكرهم بوصايا الكتاب والسنة ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا ظلم أهل الذمة أديل للعدو » رواه الطبراني عن جابر بلفظ « كانت الدولة دولة العدو » وقوله صلى الله عليه وسلم : « من قتل رجلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة » الخ رواه احمد والنسائي وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية » رواه ابو داود عن جبير بن مطعم . وقوله عليه السلام « العصبية ان تعين قومك على الظلم » رواه البيهقي عن واثلة ونحو هذه الاحاديث

بل اننا نسمع ان من وجهاء الطائفتين من يساعد أشقياءهما حتى ان الياس الحلبي قد رتب له بعض الاغنياء في بيروت وكبار الموظفين في لبنان الرواتب الكافية ولا أحب أن أذكر أسماءهم . وأعجب من هذا وذاك ان الوالي رشيد بك الذي عهد اليه السلطان حفظ الامن كان هو الذي يغري بعض الاشقياء ببعض لينتفع من الفريقين وكل أهل بيروت ولبنان يعرفون هذا وقد نوهنا بسوء سيرته في السنة الأولى والسنة الثانية من المنار وقلنا ان السماء والارض تستجيران من ظلمه ولكن من يسمع لنا اذا كانت الاستانة لم تسمع من المتظلمين من رعيته شكواهم عليه فقد علمنا ان طائفة من أهل بيروت شكوه بالبرق الى السلطان وقد كان علم فسبقهم وأرسل اليه يقول ان طائفة من من شيعة الترك الاحرار قيد أعيتهم الحيل في تتبعي حركاتهم وسكناتهم فارادوا ان

يتظلموا مني الى مولاي بأمور يتجرءون بها : فقبل السلطان قوله ولم يسمع لهم شكوى.

هذا الاهمال جرّ الى تفاقم الشرور ، وتفاقل الاحقاد في الصدور ، فكانت تثور كلما قدحت الحوادث بزندها حتى اذا قتل في آخر الاسبوع الاسبق بعض الابرياء من المسلمين انفجر البركان ، وتلاحم الفريقان ، وكان في أول الاسبوع الماضي ما كان، كانت في بيروت فتنة عامة قتل فيها كثيرون من الطائفتين وجرح الكثيرون وتعب الجند في إخماد النار وقتل منهم أفرادوهو أمر لم يسبق له نظير ونزح عشرات الالوف من النصارى الى جبل لبنان ، فعوملوا معاملة الاخوان للاخوان ، ودخل وكلاء الدول في الامر وطلبوا من الوالي القوي رشيد بك ان يتعهد بحفظ الامن فأبى لعلمه بأنه هو المجرّئ بسوء سيرته لجميع الاشقياء بالعدوان ، حتى لم يبق له عليهم سلطان ، وقد ثبت هذا للقناصل بالبحث والاختبار فكتبوا بذلك الى دولهم وكان ذلك سببا في عزل الوالي القوي وصدور الامر لوالي سوريا ناظم باشا بالقدوم الى بيروت واعادة الامن ومعاقبة الجناة الى ان يعين لها وال جديد فصدع بالامر وأعاد الامن وأمر الناس بالعود الى أشغالهم بعد ما أتلفت المخازن والدكاكين وبطلت الاعمال كلها فابى النصارى الامتثال وقال مطران الروم للوالي ان أبناء طائفته لا ثقة لهم بالامن الا أن يكون بعهد من الدول الاجنبية . والحق أنهم يثقون به في قلوبهم ولكنهم افترصوا الحادثة لطلب ما ذكر

هذا ما يطمع فيه قوم منهم وبعضهم يطمع في جعل بيروت تابعة للجبل وظنوا ان هذه الحادثة فرصة تغتنم ويرجى فيها أن تساعد الدول على الالحاق فتكون حكومة عروس سوريا أو عروس المملكة العثمانية (بيروت) مسيحية كما ان ازقواها المالية والادبية مسيحية وهم معذورون في هذا الطلب وذلك من حيث هم مسيحيون إذ لو كنت في موقع كموقعهم لتمنيت ان يكون حاكمي مسلما ، ولكن لا عذر لمن يمهدون لهم السبل لذلك من المسلمين بل الواجب عليهم ان لا يدعوا لهم منفذا للشكوى ان استطاعوا. ولعمري ان الحكومة قادرة على ذلك اذا كان الوالي مثل ناظم باشا واني سمعت الناس في سوريا يلهجون بأن مدحت باشا كان ألف بين الفريقين في بيروت كسائر سوريا حتى صاروا كالاخوة في التعامل ويعتقدون ان ناظم باشا قادر على مثل هذا التأليف لا سيما اذا علم انه يرضي السلطان

لما وقعت الحادثة وردت الرسائل من النصارى الى الجرائد السورية ومن المسلمين

الى الجريدة الاسلامية (المؤيد) في شرح الحادثة وكل فريق يلقي التبعة على الآخر ويعد نفسه مظلوما وقد انتصرت كل جريدة لقومها معتمدة على ما كتب اليها وطفقت جرائد السوريين تلوم المؤيد بأنه انتصر للمسلمين تعصبا لهم وتنسى نفسها مع ان السوريين أعلم من المؤيد بخبث الفريقين وهم علم بميز ما في الرسائل من المبالغة دونه وكانوا يقولون ذلك أحيانا مع الإيحاء على المسلمين خاصة الان جريدة الاهرام كتبت كتابة المهاني المعتدل الذي يريد المصلحة وان نشرت رسائل لغير المعتدلين. ولو كان لي سلطان على الجرائد لالزمتها بأن تكتب في تأنيب الطائفتين كما كتبت جرائد بيروت الاسلامية والمسيحية (لا جرائد لبنان) بل لألزمت المسلم بشدة لوم المسلمين والنصراني بشدة لوم النصارى لان هذا هو الانفع في رأيي

سعاية خائبة

لما علم بعض الاشرار بالطبع ان الاستاذ الامام يقصد في صيف هذا العام زيارة بلاد الجزائر وبلاد تونس اقترحوا ذلك فكتبوا في السعاية به الى حكومة الجزائر رسالتين إحداهما أرسلت من مصر والاخرى من الاسكندرية باسم الحاكم الفرنسي العام وفيهما مافيهما من قول الزور والافتراء بالامام بزعم انه لايقصد بالسفر الى الجزائر الا تحريض المسلمين على الثورة والخروج على الحكومة ونبذ طاعتها وانه قادر على ذلك ... كما كتبوا بمثل ذلك الى الاستانة عند ماتوجه الى زيارتها منذ عامين

كتبوا هذا لاعتقادهم ان الحكومة الفرنسية هناك حكومة خرقاء تأخذ بالشبهة وتنتقم من البريء لادنى وهم يوسوس به شيطان من شياطين الانس ، أو يهجس به في الخاطر عفريت من الجن ، ولظنهم ان الحكومة الفرنسية تجهل قدر الاستاذ الامام ومقامه الديني. ولكن الحكومة الفرنسية فوق أوهامهم وأحلامهم فقد بلغنا انها قد تلقت الرجل العظيم بالحفاوة والاجلال اللائقين بشخصه وبمقامه الديني والعلمي كما تلقاه في انكلترا كبراء الانكليز وعلماؤهم ، فسر بهذه المعاملة الحسنة لاشهر ائمة المسلمين في هذا العصر مسلمو الجزائر ورأوا ذلك دليلا على حسن قصد حكومتهم وحسن سياستها

فليعتبر فضلاء المصريين بهؤلاء الابالسة الذين يعز عليهم ان يوجد في الامة رجل جليل عالي القدر محترم المقام حتى انهم يبذلون جهدهم في تمزيق الكذب ليحملوا الاجانب على اهانة سادتهم وائمة الدين الذي ينتسبون اليه وان كان يتبرأ منهم . ولو شاء الفضلاء الانتقام الادبي من هؤلاء الاشرار لفعلوا ولكنهم لايتفقون